(أمالي دينية ـ الدرس الثالث)

(٧) الدين توحيد ـ « بسم الله الرحمن الرحيم . شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذي أوحينا اليك وماوصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ماتدعوهم اليه . الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب »

دين الله تعالى واحد يجب ان لايكون فيه تفرق ولا اختلاف لانه انما وضع لاسعاد البشر والسعادة انما تكون في الاجتماع والتوحيد . لانه في التفريق والتعديد . ومن فهم معنى الانسان . وشاهد تصرفه في الاكوان . علم انه خلق ليعيش مجتمعاً لامنفرداً . ومؤتلفاً لامختلفاً . وهذا هو معنى الكلمة المشهورة « الانسان مدني الطبع » فاذا جاء الدين على خلاف ماتقتضيه الفطرة كان شقاء لاسعادة ومحنة لامنحة وأي جهول يجرأ على ان يرمي دين الله بهذه النقيصة الكبرى والمعرة الشنعاء ؟

أول اجتماع بشري هو اجتماع الاسرة (العائلة) المؤلفة من أبينا آدم وأمنا حواء (عليهما السلام) ومن أولادهما وقد كان آدم نبياً يتلقى عن الله من الدين مايسوس به ذلك الاجتماع الصغير . وقد فسق بعض ولد آدم عن هدي والده فقتل أخاه . فكانت بذلك مخالفة الدين سنة في الانسان باقية الى ماشاء الله . ثم اتسعت دائرة الاجتماع فكانت الشعوب والقبائل والاقوام والامم وكان الله تعالى يرسل الى كل قوم نبياً « وان من أمة الا خلا فيها نذير » يعلم التوحيد ويدعو الى مايتم به نظام الاجتماع من التهذيب والتأديب . وكانت آفة كل دين شرعه الله تعالى لعباده اختلاف أهله فيه وتفرقهم الى مذاهب متعددة يضلل أهل كل مذهب اتباع المذهب الآخر وينصرون مذهبهم ولو بالتأويل والتحريف وينتهي ذلك باضمحلال الدين وذهاب فائدته بالكلية . بصيرورته مشقياً لذويه . مخزياً لمجموع متبعيه

ولما استعد النوع الانساني بمقتضى سنة الارتقاء لاجتماع جميع أممه وشعوبه واتصال بعضهم ببعض وهبه الله تعالى الدين الاخير . الذي ترشد تعاليمه الى نظام هذا الاجتماع الكبير . فجاء كتابه (القرآن) ينهى العالمين . عن الاختلاف والتفرق في الدين . حيث كان ذلك هو الذي شتت شمل الغابرين . وجعلهم سلفاً ومثلا للآخرين . سمعتم الآية الكريمة التي افتتحنا بها الدرس وكيف صرحت بان دين الله تعالى على لسان جميع الانبياء

واحد لا ينبغي التفرق فيه. والمراد به أصول الدين وقواعده العامة في الايمان والتهذيب واجتماع الكلمة وكون الاعمال الشخصية دائرة على محور المنافع الشخصية . والمعاملات دائرة على محور المصالح العمومية . وأما قوله تعالى « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » فهو بيان للواقع ومخصوص بفروع الاحكام التي تختلف باختلاف المصالح والمنافع التي تتغير بحسب الازمنة والامكنة بل مثل هذه الاحكام تتغير في الشريعة الواحدة بمثل هذا التغير والاختلاف ولذلك كان من اصول الشريعة الاسلامية تحكيم العرف الذي تجري عليه الناس . ومثل هذا لا يعد اختلافا وتفرقا . لانه تغيير في الصورة والعرض . لا في الحقيقة والجوهر . وفي المعنى اتفاق على اجتناب المضار واجتلاب المنافع وما هذا الالباب الدين الذي تزداد به المحبة وتنمو الالفة ويكون أهله جسما واحداً لا شيعا مختلفة . وانما نهى الله تعالى عن التفرق الحقيقي الذي يجعل اهل الدين الواحد شيعا مختلفة يتباغضون ويتحاسدون . بل يتلاعنون ويتقاتلون . ويزعمون انهم ينصرون بذلك الدين . ودين الله بريء منهم أجمعين . بالغ القرآن في ذم هذا التفرق حتى قال « ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء » وحسبك تبرئة الله تعالى رسوله منهم في كل شيء دليلا على بعدهم عن دينه وتنائيهم عن مرضاته . وقال تعالى « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم »

كان الخلفاء الراشدون وعلماء الصحابة واكابر أئمة السلف يحافظون أشد المحافظة على عقد الدين ان يتأثر بالخلاف والشقاق ويحذرون على وحدة الاسلام ان تلم بالتمذهب والافتراق فما ظهر للبدعة نبت الا حصدوه . ولا نجم في رؤوس الفتنة قرن الا قامعوه . وناهيكم بما فعل سيدنا عمر بصبيغ التميمي وما كان الائمة يجيبون به من يسأل عن المتشابه وتأويل القرآن من الزجر والنهر حتى رزيء الاسلام بفتنة الخلافة التي كانت ينبوع الفتن وبركان الاحن . فعم بلاء الخلفاء والعلماء . والملوك والامراء . وانقسم المسلمون الى مذاهب وظهر فيهم تأويل قوله تعالى « اويلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض » وغلا بعضهم حتى صاروا أبعد عن الدين من سائر المشركين . واشتملت بينهم نيران الحروب فكانوا عونا لاعدائهم على امتصاص دمائهم . وتمزيق اشلائهم . وهدم بنيانهم . واضعاف سلطانهم . وأخص بالذكر الفرقتين العظيمتين — اهل السنة والشيعة — اللتين لا ينظر في تاريخهما عارف بحقيقة الدين

وغيور على المسلمين . الا وينفطر فؤاده من الغم . ويرسل الدمع ممزوجا بدم . لان مثار الخلاف بينهما مسئلة فرعية ذهب وقتها وذهبت فائدة ظهور الصواب فيها بحيث لا مبعث للتنازع . ولا مجال للتقاطع . لو انصف الفريقان . وتعاملوا معاملة الاخوان . التي يوحيها عليهم القرآن . الذي يذعن له الاثنان * اشتد كل فريق في مجادلة الآخر ومجالدته . ومناهضته ومواثبته . ولو سلكوا طريق القرآن . لوضح الحق واستبان . أمر الله نبيه ان يحاج المشركين بمثل قوله « قل من يرزقكم من السموات والارض قل الله وانا أو اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين . قل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون » . أين هذا التلطف في الدعوة الى الحق الذي استدبه النبي بأمر الله الاجرام الى نفسه والمؤمنين مجاراة للمشركين وحكاية لالفاظهم . وسمى به شركهم عملا ولم يصفه بكلمة ذم لئلا ينفروا من سماع الحق ؟ — اين هذا مما جرى عليه المسلمون مع اخوتهم في الدين حيث يسمع احدهم عن الآخر كلمة يريها اياها فهمه السقيم او السليم خطأ فيملأ عليه الدنيا تشنيعاً ويؤلف الكتب في الرد عليه وتضليله او تكفيره فيضطره الى مقابلته بالمثل ويعمي عن الحقيقة ان كان مبطلا وينتصر لكل منهما المتصرون فتعظم الفتنة وتعم المحنه ؟ هذا ما كان وهذا ما هو كائن فالطف اللهم بنا فيما سيكون . امر الله تعالى نبيه ان يدعو اهل الكتاب بمثل قوله « قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً ارباباً من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون » وان يلاطفهم بمثل قوله « ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » بل ووعدهم بانهم اذا دخلوا في الاسلام يؤتون اجرهم مرتين واذا ظلوا على دينهم كان لهم مالنا وعليهم ما علينا وندافع عنهم بما ندافع عن انفسنا . فهل يصح لاهل هذا الدين ان يجادل بعضهم بعضاً بالتي هي أسوء والله تعالى يقول لهم « ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي أحسن » أما وسر الحق لو ان قومنا ساروا على نهج القرآن في مقارعة البدع لما اتسع الخرق على الراقع . وقد كان شأن قومنا في ذلك كما قال استاذنا الاكبر في رسالة التوحيد وهو « بقيت علينا جولة نظر في تلك المقالات الحمقى التي اختبط فيها القوم اختباط اخوة تفرقت بهم الطرق في السير

الى مقصد واحد حتى اذا التقوا في غسق الليل صاح كل فريق بالآخر صيحة المستخبر فظن كل ان الآخر عدو يريد مقاومته على مايده فاستحر بينهم القتال ولازالوا يتجالدون حتى تساقط جلهم دون المطلب . ولما اسفر الصبح وتعارفت الوجوه رجع الرشد الى من بقي وهم الناجون . ولو تعارفوا من قبل لتعاونوا جميعاً على بلوغ ماأملوا ولو افهم الغاية اخوانا بنور الحق مهتدين) . كتب الاستاذ هذا بالنسبة لمسئلة واحدة وهي تصدق علينا في كل مسئلة مما اختلفنا فيه فكنا به شيعا ومذاهب والى الآن لم نتعارف ولم نطلب الاخوة الايمانية الصحيحة وانما يكون ذلك بتعميم التعليم الذي نريده . وهو مبني على على ان الاسلام ضد التمذهب لانه جاء لجمع الملل وتوحيدها . والتمذهب انما كان لتفريق الملة الواحدة وتعديدها . فالاعتقاد الذي نعلّمه هو ماأجمع عليه الذين يعتد باسلامهم وكل مااختلفوا فيه لايتوقف الاسلام عليه ويجب ان يكون الاختلاف فيه كالاختلاف في سائر المسائل العلمية لايثير شغباً ولايحدث مذهباً . مثلا ان المسلمين مجمعون على ان الله عالم لايعزب عن علمه شيء في الارض ولا في السماء ومختلفون في ذلك العلم هل هو صفة وجودية زائدة على الذات أو هي عين الذات اولاعين ولا غير . ولاشك ان هذا البحث اقرب الى الفلسفة منه الى الدين وهو لم يذكر في القرآن ولا في السنة ولا ورد في آثار السلف الصالح . وكذلك مسئلة الخلافة التي كانت علة العلل لجميع الانحراف والزلل فانها ليست من اركان الدين واصوله كما قلنا آنفا .

لااذكر في دروسي هذه من مسائل الخلاف الا ماعساه يتوقف عليه فهم المتفق عليه ولااخوض في شبه المبتدعة لئلا يعلق منها شيء في الاذهان الضعيفة فيفسدها ويميتها فقد علمنا مافعل ذلك بمن قبلنا ممن كانوا خيراً منا علماً وعملا بحيث لاتقاس علماؤنا في الغالب بعامتهم فضلا عن ان نقيس دهاتنا بدهاتهم ونسائنا بنسائهم . بل لايجوز لاحد سرد تلك الاقاويل المفرقة والشبه المضللة على العامة . من أحب الوقوف على مسائل الخلاف فعليه ان يتبع قوة الدليل ان كان من أهل النظر والا فليقلد الجمهور الاكبر ولايكفرن من خالفه فيما اعتقده ولايجعلن الخلاف مانعامن اخوته الايمانية . واذا ذاكره أو كاتبه في ذلك فليسلك معه مسالك الاخوة في مذاكرتهم بمصالحهم ومنافعهم

السني والشيعي والمعتزلي والوهابي الخ كلهم مسلمون امامهم القرآن . ونبيهم محمد عليه السلام . فيجب ان يكونوا اخوة فمن شذ عن هذه الاخوة يجب ان تلطف بجذبه اليها لا ان نعاديه ونتفرمنه . هـذا هو صراط المؤمنين اذا سلكناه نجونا والا ازددنا هلاكا ودماراً . ولا نجد لنا من دون الله انصاراً

الاخبار التاريخية

احتفلت الحكومة امس بمولد سمو العزيز افندينا عباس حلمي باشا الخديو المعظم . فنسأل الله تعالى ان يعيد على مصر امثال هذا الاحتفال . وسمو الامير في كمال عز واقبال ما تعاقبت الاعوام والاحوال

﴿ شذرات ﴾

أخّرنا مقالة (حجج مثبتي الكرامات) لنشر المقالة الافتتاحية التي جاءتنا من احد الافاضل فاغتنتنا عن الرد على ذلك الباحث الذي اشتبه عليه الامر فاشتبهت بكلامه الحقيقة على كثير من الناس لما في كلامه من المسائل الدينية التي هي صحيحة في ذاتها ولكنها وضعت في غير موضعها والمسائل التي يحقّر بها الافرنج وهي غير صحيحة كقوله انهم يبتدئون التربية في السنة السابعة للولد وان اشتباه هذا الامر على مثله كاشتباه تينك المسألتين على رئيس جمعية مكارم الاخلاق التي هي موضع رجائه في اسعاد الامة — يدلنا على اننا في أشد الحاجة الى علم واسع واختبار تام لانجدهما في كتبنا ولا في دروسنا وجمعياتنا لاسيما مايتعلق بشؤون عصرنا الذي اختلفت فيه طرق المعيشة وأساليبها العمران عن عصور اسلافنا وفتن سادتنا وكبراؤنا (الاقليلا) بزخرف مدنية أوربا وتركوا محامدها وفضائلها فصرنا محتاجين لارجاعهم الى القيام بمصالح العامة من الطريق الذي له مكانة عليا في نفوسهم . فجزى الله سعادة أحمد فتحي بك افضل الجزاء على تصديه لذلك والله لايضيع أجر المحسنين

حكم على ديفوس بالسجن عشر سنين ثم عفي عنه لان الحكم عليه كان سياسيا لاقضائياً عادلا . وهذا دليل على براءته التي افصحنا عن اعتقادنا اياها في ابتداء الفتنة

زار سفير فرنسا في الاستانة العلية سماحة شيخ الاسلام من مدة وقد ذكرت الجرائد هذا الخبر الغريب لانه لم يسبق للسفراء من قبل زيارة مشايخ الاسلام ويظن ان ذلك لامر مهم لما يظهر سره لاحد